أفكار بين شقّي الرحى

التيـــار الديمقراطـــي وأشـــياء ليســـت أخـــرى

د. عامر حسن فياض

مـازال العراق يعيش بين تاريخ سيئ هو تأريـخ الديكتاتوريـة والاحتلال ومستقبل صعب التحقيق هو مستقبل انجـاز الديمقراطيـة. ومابـين هـذا التاريـخ السيـئ والمستقبـل الصعب تتمـدد مجموعـة اشكاليـات تتحمـل القوى المتصـدرة للعمليـة السياسية مسؤولية انتاجها وإعـادة انتاجها.

إن الديكتاتوريـة حولـت الدولـة العراقيـة إلى كيـان سياسـي بينمـا أزهـق الاحتـــلال باطـل الديكتاتوريـة بيـد انـه اخفـق فـي بنـاء الحـق، والأخيـر (اي الحـق) تم ضمانـه بـ(دستور) ولم يتم بعد تنظيمـه بقوانيـن الأمر الـذي عطل التمكيـن من ممارسته بسبب من إن المتصدريـن للعمليـة السياسية في العـراق أحسنوا صناعـة المشكلات ولـم يجيـدوا بعد انتـاج المعالجات ، وإنهـم يتكاثـرون كرجـال سياسة بينمـا يتناقصـون كرجـال دولـة ، ومثلهـم كمثـل السـياسيـين الذين قـال عنهـم نابليـون بونابـرت (يثيـرون الغبـار ويشتكـون مـن عدم الرؤية)!

إن هـؤلاء الذيـن عندنا فـي العـراق قلمـا نجـد بينهـم مـن يميـز مـا بيـن التسـويـات والتصفيـات ومـا بيـن التنافـس والتناحـر ومابين التوافقيـة والتواقفيـة ومـا بيـن الاستـحقـاق الوطنـي والاستحقاق الجهوي ومابين المشاركة الايجابية والمشاركـة السلبيـة فـي ادارة الشـأن العـام.

عليـه فـان المهمـة ستكـون شاقـة وطويلة علـى الديمقراطييـن الذين يدركون جيـداً أن الديمقراطية دواء (مـر) ينبغـي عليهـم ان يتجرعـوا مرارتـه.

وعلى أسـاس ماتقدم اتجهت بعض القوى والشخصيـات الديمقراطية فـي العـراق وخارجه إلـى الشروع في عقد مؤتمر تأسيسي لاستنهاض وتنظيـم وتنسيـق عمـل ونشاطات قـوى وشخصيـات الحركـة الديمقراطيـة العراقيـة بمـا يخـدم تصويـب وتعزيز مسارات العملية السياسيـة فـي مجالـي الحريـات والعدالـة الاجتماعيـة وصولا إلى الانتقـال بالعـراق مـن كيـان (لأبل كيانـات) سياسية إلى عراق الدولة المدنيـة الحرة عبر الانتقـال بالعمل الديمقراطي في العـراق من حقيقة مبعثرة إلى حقيقة فاعلة.

انهـا محاولـة بـدأت ولم تنتـه بعد . وقبـل إن تبدأ سبقتهـا محـاولات إن لـم تذكر فأنها لايمكن إن تنكـر. فهي بدايـة الامتـداد والتكملـة. البداية التـي لماضيهـا جـذور ولحاضرهـا بواكيـر ولمستقبلهـا مديات . فما هي حقيقة هذه المحاولـة؟

إن الصيغتين التنظيمية والبرنامجية اللتين خرج بهما المؤتمر التأسيسي للتيـار الديمقراطي الـذي عقد في بغـداد بتاريـــخ ٢٠١١/١٠/٢٢ تعبرعـن إطـار تنظيمـي سياسي مجتمعي كاشف وليس خالقا لحقيقة التيار الديمقراطـي فـي العـراق. وهذا الكشف يحمل خاصيتين:.

الأولى:- الخاصيـة التنظيميـة التـي تفيـد ان هـذه المحاولـة هـي كشـف منظـم وليس عفويـا لحقيقة الديمقراطية وقواهـا وشخصياتها في العراق وخارجه .

وهـذه الخاصيـة التنظيميـة جـاءت لمغـادرة العفويـة في العمـل الديمقراطـي التـي جعلـت مـن الديمقراطية حقيقة مبعثرة . كما ان هـذه الخاصية التنظيمية تجعل من تأسيس التيار الديمقراطي محاولة واقعيـة ومتعقلـة للانتقـال بالعمل الديمقراطي مـن حقيقة غيرمنظمة إلى حقيقة منظمـة.

والثانيـة:ـ الخاصيـة المجتمعيـة اللانخبويـة والتـي تفيـد ان هـذه المحاولـة التأسيسيـة متميـزة عـن المحـاولات السابقة لأنهـا بدأت من القواعـد المجتمعية العريضة للقوى والشخصيات الديمقراطية فغادرت آليـات البـدء بلقـاءات " القمـم " النخبويـة السياسيـة ومـا تنتهي اليه مـن تحالفـات وتجمعـات آنية لتنسيـق عمل ديمقراطـي غير قابل للحياة المتواصلة مع همـوم الحياة اليومية للمواطـن.

ولكي تكون هذه المحاولة التأسيسية للتيار الديمقراطي بهـذه المواصفات وبتلك التوصيفات يستحضر التيار الديمقراطـي وتشكيلاتـه التنسيقية فـي بغـداد والمحافظـات العراقيـة كافـة وفي خارج العـراق يستحضر ايجابيات جميع المحاولات السابقة (اللقـاء الديمقراطـي ـ مدنيـون ـ لجنـة دعـم الديمقراطيـة ..... الخ) مـن اجل لملمـة وتنسيق عمل القـوى والشخصيـات الديمقراطية العراقيـة مـن جهـة ويتجنـب كـل هفوات وأخطاء المحاولات السابقة الخالية مـن الاطر التنظمية والبعيدة عـن هموم الناس وتطلعاتهم من جهة اخرى.

(٢)

ومنذ طي صفحة الطاغي وانغماس العـراق في صفحـات الغـازي أدرك الديمقراطيون (قـوى و شخصيات) بـان الاحتفال بانتصار الديمقراطية في العـراق أمر سابق لأوانه ، وان عملية التحـول الديمقراطي لم تأت بعـد ... نعم ان التيار الديمقراطي فـي العـراق لـه وجـود مجتمعـي محسوس وملموس بيـد انـه بلا تمثيـل سياسي بسبب غياب وحدة الخاصيتيـن التنظيميـة السياسية والمجتمعية الشعبية لهذا التيـار .

هـذا الغيـاب ساعـد علـى كثـرة الحديـث عـن الديمقراطيـة التـي لـم تحـن بعـد وقلـة ممارستها ، حيـث لاديمقراطيـة حقيقية بدون ديمقراطييـن ، ولاديمقراطييـون حقيقيـون بـدون ممارسـات ديمقراطية منظمة ومنتشرة.

وعلـى هـذا الأسـاس وبسبب ضعـف، ان لم نقل غيـاب السلوك الديمقراطـي الحقيقـي (المنظم والمنتشـر) عمت الخشيـة في العـراق الجديـد مـن ان تكـون كفة الإخفاقـات والفشـل أرجح من كفة الانتصـارات والانجاز التي حققتها عمليـة التغييـر فـي العـام ٢٠٠٣ الأمرالـذي جعـل الديمقراطيـين يصرون علـى حقيقة تفيد ان عافية التغيير فـي العراق الجديد لايمكن فصلها عن عافية قوى وشخصيات الحركـة الديمقراطيـة. وان علاقـة العافيـة المتبادلـة هـذه محكومـة بمعادلـة ثلاثيـة الأركان وهي معادلـة (الاسـتقـلال ـ الديمقراطية ـ العدالة الاجتماعيـة) فـلا استقـلال حقيقي بـدون ديمقراطيـة، ولاديمقراطيـة حقيقية بدون عدالة اجتماعية.

وعلـى وفق هـذه المعادلـة لا تراجع ولا خنـق للديمقراطيـة ولا عـودة لبـروز السلطوية والتفـرد.

ولمـا كـان العـراق ومـا يـزال بعـد ضمـن دائـرة البلـدان المضطربـة فـان مستويـات المساهمـة فـي التيار الديمقراطـي الوليد تقتضي مـن انصـار الديمقراطيـة (قـوى وشخصيـات) داخـل العـراق وخارجه الاتفاق على عدم التخاصم وعـدم التنافـس بل التخـادم فيما بينهـم والمضـي معـاً كشـركاء فـي العمـل والمـوارد لأنهـم شـركاء في الصيغتيـن التنظيمية والبرنامجية داخـل التيـار ، وأنهـم متنافسـون وليسوا بخصوم مع شركاء العملية السياسية من حمـاة الدستور غير المنضويـن للتيـار الديمقراطـي وأنهـم خصـوم مـع أعـداء العملية السياسيـة والدسـتور ومناهضـي الحريات والتحول الديمقراطـي.

(٣)

ان قـوى وشخصيـات التيـار الديمقراطـي لاتسـعـى إلـى خلـق أعـداء أو خصـوم وستتعامـل كشريك أو حليف مـع جميع القـوى والشخصيـات والفعاليـات التـي تعمل من اجل بناء الدولة المدنيـة. دولـة القانـون والمؤسسـات. دولـة المواطنـة وستعمـل علـى تنشيـط وتفعيـل الستراتيجيـات الوطنيـة فـي إقليـم كردسـتـان والمحافظات العراقيـة لمكافحـة الفسـاد والفقـر والبطالـة والعنـف.

ان التيـار الديمقراطـي لايدعـي احتكار الديمقراطية (فكـرة وعمـلاً) وسيدعـم ويقبـل دعـم كـل فعاليـة ديمقراطيـة فرديـة أوجماعيـة، منظمـة أو غيـر منظمـة مـن داخل التيار أو خارجه بإمكانها ان تصبح فعاليـة ايجابيـة منشغلـة بالتمكين للديمقراطيـة القائمـة علـى العدالـة الاجتماعيـة والانتقال بها من حقيقة مبعثرة إلى حقيقة فاعلـة.

مؤتـمر بمـن حضـر

قيس قاسم العجرش

الجملة العجيبة التي أوردها مراسل قناة العراقية الحكومية تصلح شعاراً للمؤتمر الذي تروج له الأوساط الحكومية بطريقة عجيبة هي الأخرى.

بالأخص هي تـروج للنجـاح المضمون سـواء قبـل الآخـرون أم رفضوا الحضور، هكذا.

الجملـة تقـول "إن التحضيرات مستمـرة لعقد المؤتمر الوطنـي السياسي سواء حضرت هذه الجهة أم رفضت تلك".

وهي لا تبتعد عن أسلوب حكومي يتعامل مع الأشياء بطريقة القطار الذي لا يمنعه شيء من التقدم حتى وإن انتهى خط سكة الحديد.

ثقة هائلة في المنطلق المستند إلى الدستور (من لم يسمع هذه الجملة تتكرر هذه الأيام ؟) ، الدستور الذي صوت له العراقيون بالأغلبية.

ومـن المفيد هنا التذكير بـأن الحكومة تعاملت بشكل مماثل تقريباً مع ملف المصالحـة الوطنية وسارت إلى الأمـام من دون أن تلتفت لتعرف بالضبط أو نعـرف نحـن علـى الأقل من هي الجهـة التي تصالحت معهـا ، وهل من تصالحت معه هـو بالضرورة من سيكـون مسؤولا عن تهدئـة العنف في العراق؟

لكن أين العجب ونحن نلعب في بلاد العجب؟

تتحـرك الحكومة اليـوم وهي تظن ألا أحد يفهم هـذه الخلطة من التفارق والتناقـض إلا نفسهـا وعقلهـا والمقربون منها ، وهـذا أيضاً نمط عجائبي آخر من أدائها .

أما المؤتمر الـذي سينعقد بمن حضر فلا نفهم مغزى الانعقاد وثمة أطراف غائبـة لـن نسمع وجهات نظرها خـلال جلساته المحفوفـة بالصلوات علّها تكون رحماً خصبة للصلح المنشود بين المختلفين .

ومـع ذلك فـإن الديمقراطية لا تنتظر أحداً ، هذا ما يبدو عليه فحوى رسالة مراسـل "العراقيـة" ومن خلفه الحكومـة التي أفهمته بطريقـة ما أن يفكر هكذا لينطق عنها كلمات بينما تنطق هي أفعالا عن ذاتها.

هذه بالحقيقة هي ديمقراطيتنا نحن فقط التي تتفرد بأداء كهذا ، نحن نربي ديمقراطيـة لها أنيـاب التماسيح ولها سرعة النسور ، تلتقط ما تشاء وتذر مـا تشاء ثم ليس لأحـد أن يسألها على الرغم مـن أن أصل كلمة "مسؤول" لغوياً يتأتى من شخص توجه له الأسئلة .

ومـع ذلـك فديمقراطيتنا نحن هـي التي تحرّف المعنى والمبنـى ويتغير لها الحجر والشجر كل ثلاثة أشهر (كما نفعل بالأرصفة).

مـرة أخرى قطارنا لا يجد حتى محطة مهجورة يستريح فيها ،لكن العلاج برشـ الكلام وتدخين الجـو بحريق كلماته قد ينفع في تعمية عيون الناس لبرهة ، كم سيطول الأمد بهذا الذي يراهن على البرهة أن تستدام إلى الأبد ؟ كم هي مساحة الزمن التي تتاح لمن يتفرج على المشهد بالعرض البطيء؟

لو يتخلى هؤلاء فقط عن تكذيب بأن دوام الحال دخل منذ عصور في كتب الاستحالـة ، لو أنهم يتخلون فقط عن تصديق منجمي مكاتب المستشارين المحيطـة بمكاتبهـم ، كان المؤتمر سيكون مؤتمراً حقيقـة وسيكون ناجحاً بمرجعيـة اللغـة لتعريف كلمة " النجـاح " لا تعريف الأمانـة العامة لمجلس الـوزراء ، وكان القانـون ليأخـذ مجراه حقيقـة لا أن نحفر مجـراه برفش مكسور.

كاريكاتير

■ عادل صبري

قرطاس

■ أحمد عبد الحسين

إسلام وديمقراطية!؟

الآن أكـثر من أي وقت مضى يبـدو أن الإسلاميين . بشقيهم الكبيريـن السنـيّ والشيعـيّ . لا يستطيعـون التعايش مع الديمقراطيـة بل مع شكلها ومظهرهـا فحسب، مع أيقونتها المتمثلـة بصنـدوق الاقـتراع. أما الـكلام الكثـير عن تلازم الديمقراطيـة والإسـلام وإمـكان التـزاوج بينهمـا فهـو . لأسبـاب كثيرة . يبدو كالجمع بين ماء ونـار، ولفظ "إسلام ديمقراطـيّ" يتخـذ صيغة فيها مـن الخُلف المنطقـيّ الكثير بحيث تتساوى وعبارة "المثلث الدائريّ" مثلاً.

للإسـلام نواة صلبة من العسـير تكييفها مع طلاقة التداول العـامّ للأفكار والآراء الذي تستلزمـه أية ديمقراطية، يدرك الإسلاميـون ذلـك، ولـذا فإنهم بـدل أن يخففوا مـن صلابة الديـن . عقائد وشرائع . عمـدوا إلى اختراع ديمقراطية على مقاسـ هذه العقائـد وتلك الشرائع، طريقتهـم الديمقراطية خاصة، كمـا كانتْ "طريقتنـا خاصة في بنـاء الاشتراكية" زمـن صـدام الـذي أنشأ لنـا فوضى عارمـة ليسـ فيها من الاشتراكية إلا الاسم.

ليس في أدبيات الأحزاب الإسلامية الشيعية الحاكمة اليوم أية إشارة إلى الديمقراطيـة، وإذا كانوا كثيري الكلام عنها بإفراط فلأنّ الاستقطاب الطائفـيّ، الذي أشاعوه وكرّسوه ونوّعوا عليه، يفيدهم في حيازة أغلبية مريحة.

لا يستطيـع الإسلاميّ العيش . ديمقراطيـاً . إلا بعد أن تُمهّد لـه الأرض احترابـاً طائفياً وشحنـاً لنـوازع بدائية، وبعد أن يستنفـر في المجتمـع أعمـقَ مكوّنـات مـا قبـل الدولـة: العشائرية.

الدولـة العراقيـة اليـوم تسـير في الطريـق المـؤدي لـ"ديمقراطية" خاصة جداً تشبه اشتراكية صدام الخاصة، ديمقراطيـة مفصلة بحيـث لا تزعج ذوي العقائـد المهيمنة، وتؤسـس لديكتاتوريـة الأغلبيـة مـن أجـل أن تكـون هذه الأغلبية الساحقة "ساحقة" لثقافات المكوّنات الأخرى.

أزداد قناعـة كلّ يـوم أن المشكلـة لا تتعلق فقـط بأشخاص وجدوا أنفسهم متلبسين بحكم رفعتهم إليه رافعة الطائفية، بل هـي معضلـة الإسـلام السياسـيّ ككلّ، بدليـل أن مصر مثـلاً التي فتحـتْ عينيها تـوّاً على مـآزق لا حصـر لها بعد انهيـار حكم مبـارك، تقـف في امتحان عصيب بـين اختيار الديمقراطيـة أو الإسلام، قبل يومين حوكم رجل قبطي لأن مدونتـه الإلكترونيـة نُشر فيهـا . عرضاً . رسـم يصوّر الفأر ميكي ماوس بلحيةٍ وغترة، وصاحبته الفأرة بنقاب.

في شـوارع مصـر يـدور الإسلاميـون "الديمقراطيـون ما دامـوا انتخبـوا وفـازوا!" في شـوارع القاهـرة يحملـون قماشاً يغطـون بـه التماثيل والنصـب، كما فعـل إخوانهم الإسلاميـون عندنـا في تضييقهـم علـى النحـت والمسـرح والغناء والرقص.

إسـلام يعشق الديمقراطية، لأن الأغلبية الآن معه، لو فقدها فسيعود إلى سيرته الأولى التي عرفتها مصر قتلاً وإرهاباً، وعرفتها أفغانستان والسودان والصومال وكثير من الدول التي لم يتواشج فيها إسلامهم مع ديمقراطيتهم لإنتاج كائن غريب.

في إسـلام كهذا تغدو الحياة "مثلهـا مثل الفنّ" عورة يجب أن تغطـى، وخير غطاء يخفي الحيـاة تماماً ويجعلها تافهة وغـير مستساغة هـو هذه النسخـة الجديدة مـن الإسلام، الذي لا يعرف أحد أحمامة هو أم غراب!

مـــؤتمـــر الـــهـــروب مـــن الـشـــراكـــة

حسين علي الحمداني

ما يحصل اليـوم في العراق يمكن تسميته بالهـروب مـن الشراكـة، إذ كل الأطـراف الموجـودة الآن في العمليـة السياسيـة في البلـد تجد نفسهـا مقيـدة بقيـود الشراكة وهـي لا تتوانـى في إعـلان هذا علـى الملأ وعبر وسائل الإعلام .

والسـؤال هنـا: هـل باتـت الشراكـة في محطتهـا الأخيرة بعد أن أيقن الجميع أنها السبب الرئيس في أزمات البلد المتتالية؟

المواطـن العراقـي البسيـط الـذي يعيش يومـه يجـد أن الحكومـة مقصّـرة في تأديـة عملهـا وفي مقدمـة هـذا التقصـير في الخدمـات والصحـة والتعليـم والبنى التحتيـة والبطالـة التي لم تُعالـج مما زاد من نسبتهـا وتأثر بذلك مستوى خط الفقر وانعكس على مناح اقتصادية كثيرة أهمها تضاعف نسبة التضخم في البلد، والتردي الأمني الكبير جداً، وعندما يحاول المواطن أن يجـد إجابات تأتيـه الإجابات الجاهزة التـي تعلـق هـذه الإخفاقـات الحكوميـة علـى شماعـة الشراكـة والمحاصصـة مـن طـرف ، ومن الطرف الآخر علـى التهميش والإقصاء .

يـدرك المواطـن العراقي حقاً بـأن الشراكة هـي سبب ذلـك كله، ولهـذا فـإن تظاهرات ٢٥ شبـاط مـن العام الماضـي كانت تطالب بإصـلاح العمليـة السياسيـة في البلد مما هي فيـه، لأن المواطن اقتنـع بأن مسؤولي البلـد تقاسمـوا كل شـيء ولم يعـد هنالك شيء للمواطن يمكـن تقديمه له، وقد يعلل البعـض بـأن الحكومـة عمـدت لترشيـق الوزارات وإلغاء بعضها وهذا يمثل حسب وجهـة نظر البعض إنجـازا، لكن هؤلاء لم يدركوا بأن الوزارات التي تم إلغاؤها إنما أوجدوهـا لأنفسهم وليس لخدمة المواطن، مجرد مناصب تم تقاسمها في فترة تشكيل الحكومـة الحالية وبالتالي فـإن إلغاءها لا يعنـي ترشيقاً بقـدر ما يعني حـلاً جاهزاً لتجـاوز أزمـة حدثـت نتيجـة التظاهرات الشعبية وبالتالي فـإن المواطن غير مقتنع بجـدوى الحـراك السياسـيّ ككل، خاصة وإن الأزمـة السياسية والقضائية الأخيرة هـي أزمة مركّبة نزلت للشارع العراقي ولم تبـق في ممرات المطبـخ السياسي وأروقة مباني الحـوار المغلقـة. ونزولهـا للشارع كان بقـرار سياسـي مـن أجـل خلـق حالة تصادم جديدة بين فئات الشعب وشرائحه أو بـين "الشـوارع"، وهـذا مـا نأمـل ألا يتحقـق لأن الشارع العراقي أكـثر فهماً لما يـدور ولا يمكـن أن يكون بعـد الآن وقوداً لنـزاع القوى السياسيـة ونزعتها للتسلط على حساب بناء دولة المواطنة.

ولعـل المواطنـة موجـودة بنسبـة عاليـة جداً لـدى الشعـب العراقي وقـد عبر عنها بوضـوح جلي لا غبار عليـه الملازم نزهان الجبـوري والمقاتـل علـي سبـع في حادثة تفجـير البطحـاء، تعبـيراً لم نجـده لـدى السياسيين، فما هي المواطنة وكيف تتحقق إن لم تكـن مقرونـة بعمـل يخلـد ويوصل رسائـل الوحـدة لمـن لم تصلهـم الرسائـل السابقة وفي مقدمتها رسالة الشهيد عثمان العبيدي ابن الأعظمية.

ولهذا نجـد بـأن المؤتمر المنتظـر الذي عقد قبـل يومـين ورفعـت جلساتـه للأسبـوع المقبل لن يتجاوز أطر الشراكة والتوافقات إن لم يكن من بين أوراقه القادمة مزيداً من الشراكة على حسـاب المواطن، ولذا نلحظ إن ردود الفعـل الأوليـة للشـارع العراقـي تؤكد عـدم تفاؤله بما سيسفـر عنه مؤتمر كهذا، والسبـب يكمن بأن مَـن يكون جزءاً مـن المشكلـة لا يمكـن أن يكـون جـزءاً من الحل، هـذه بديهية تجعلنـا ننظر للمؤتمر من زاوية أخرى ربما لا ينظر إليها البعض وهذه الزاوية تتمثـل بأنه سيكون مَخرجاً للبعض لكي يتجاوز أزمته الشخصية لكنه لن يكون مَخرجـاً سليماً للعملية السياسية القائمة الآن ولن يكون ممراً للدستور بقدر ما سيشكل نفقاً آخـر للهروب من الدستور وتجاوزه.